من ذاكرة المسرح البصري
(جبار صبري العطية)

... كانت المجلة جزء من اهتماماته الثقافية لا ينقطع عنا .. في كل حضور له لسكرتارية المجلة لا يأتي وحيداً بل يتأبط بحثاً أو مقالاً أو مسرحية .. ويردد قائلاً (علينا أن نعطي لهذا الوليد دماً وحياة جديدة) .. ها كم ما أريد أن أشارك به في بناء هذا الصرح المعرفي في " كلية الفنون الجميلة " فهي داري .
بعد رحيله بقي الأستاذ حاضر بيننا .. نستذكر جهده الدءوب ، أفكاره التي لا تنضب ولا تنقطع عن الجديد .. مواقفه التربوية في الفن والمسرح .. ومن ضمن هذه الاستذكارات .. نقدم للقراء آخر بحث سلمه إلى مجلتنا ، نحتفي بهذا البحث لنؤكد تواصلنا مع المعلم الفنان (جبار صبري العطية) .

التحرير

قالوا فيه...

مـــوت المعـــلم

د. عبد الستار عبد ثابت

عبد الستار.. أمات أبوك؟.
ضلال... أنا لا يموت أبي
ففي البيت منه، روائح رب وذكرى نبي.
يا عبد الستار... يا ستار... دعك من قباني.. وشعره،
وأجب.. أمات أبوك يا ستار؟. قلها يا ستار..!
وإياك ان تدمع عيناك. أو يبتل جفناك... قلها يا عبد الستار

– نعم لقد مات أبي، واسمه جبار صبري العطية، ويعمل معلماً في المدارس الابتدائية، ومعلماً لأجيال من المسرحيين والمثقفين الطليعين والمعطف الذي خرج منه دكاترة جامعيون، ومبدعون في فن المسرح، لقد مات أبي جبار صبري العطية، وبقيت بعده أشعر باليتم والوحدة، شعوراً حقيقياً لا مجازياً.. وما أقسى الوحدة على طفل طيب مسكون بالشعر والحنين الجنوبي الذي لا يضاهى... حتى جردني موته الصاعق، المفاجئ، من كل امتيازاتي الدنيوية الزائلة، وأحال الحياة في نظري، حشداً من الاصابع السود، التي تعصر في حرارة الحنظل. انني حزين حتى الموت كما يقول السيد المسيح قبل الصلب. لقد انكسرت برحيل جبار صبري العطية، المعلم والمدرسة، كتلة ضخمة من الفن والانسانية قلما تتكرر في عالمنا المتناحر وان مصابنا الفادح بموته هو غياب شخصية الأب المثالي الذي سماته (النبل، والخلق الكريم، والترفع عن الدنايا والصغائر. هذا الأب الرائع، لا بد ان نوضح نقطة هامة جديرة بالتشخيص والتخصيص وهي تضيء في شخصيته الجميلة الا وهي سمة (التسامي) الذي لا تتحقق الا في الشخصيات الانسانية البطولية الفذة، التي تسمو على النقائض..

– فجبار صبري العطية الذي حرم من نعمة الاطفال، لم تشعره هذه المسألة بالمحنة او بعقدة النقص، كبر نفسه ورجاجة عقله وسعة أفاقه، فتسامى وتسامى وتكامل فوق النقص، فكرس نفسه لمسرح الطفل فذاب قلبه وكبده ومشاعره وذبلت عيناه من سهر الليالي لكي يكتب نصاً درامياً متميزاً لاسعاد الاطفال الذين هم جميعاً أبناؤه الحلوين. بالتسامي، باللعظمة، باللانتصار الذي هو انتصار الابطال على النفس. لقد انتصر الواجب على العاطفة.هذا هو أبي، هذا هو أبوكم، هذا هو أبو المسرحيين ومعلم الفنانين.
ومهرجان جبار صبري العطية للطلبة المطبقين هو بعض من وفاء قسم النفوس المسرحية لهذا الاب العاقل، الذي صدق في الفن والحياة ولم يكذب بالدين.
((ليس سراً يا صديقي ان ايامي قليلة ليس سراً انما الايام بسمات طويلة ان اردت السر فاسأل عنه ازهار الجميلة عمرها يوم وتحيا اليوم ومنتهاه.. سوف أحيا.. سوف أحيا..
انه صوت جبار صبري العطية، يغني بصوت فيروز.

جبار صبري العطية
احتفال مهيب للراحل

هلال نافع العطية

قبل أسبوع وبالتحديد يوم 28 / آذار / وبعد مرور أربعة اشهر بالضبط على رحيل فقيد الحركة المسرحية في البصرة .. اتصل بي هاتفيا" من دولة الإمارات زميلنا الفنان المسرحي محمود أبو العباس كي يعزيني .. وابلغني أن انقل تحياته وعزاءه إلى كافة الفنانين والأدباء من أساتذة وطلبة كلية الفنون الجميلة.. لأنني أعلمته بإقامة هذا الاحتفال .. لا أريد أن أطيل عليكم .. انتهت المكالمة وتمنى أن يكون بيننا الآن ، المهم المكالمة انتهت في ساعة متأخرة من الليل نمت بعدها وإذا بي أرى في الطيف ما تمنيت أن أراه واشتقت إليه والله..

قلت : أستاذي ووالدي وصديقي .. أما آن لهذا الجسد الملفوف بالكفن الأبيض تحت التراب ونحن فوقه أن يسمعني صوته أن نعرف بم يفكر .. هل من جديد ..

قال : أنا الآن اكتب مذكراتي .. أنا الآن أدون بداياتي .. الأحداث المباشرة في حياتي أتذكر إني ولدت في سنة كانت الفاشية تستعد لغزو العالم بحرب عالمية ثانية ، لم افهم ذلك الوقت من معنى الحرب سوى الموت ، رحت اتاملها جيدا" حتى تولدت لدي الكلمة المضادة الأولى للحرب والموت وهي السلام والحياة.

ورحت أتأمل السلام والحياة بكل حب وصفاء بقلب وعقل طفل حتى تولد لدي وعرفت معنى ثان للحرب هو الدمار وعلى أثرها تولدت الكلمة المضادة الثانية وهي العمران والبناء.. وعرفت معنى ثالثا" للحرب وهو الحقد والكراهية ، تولدت لدي الكلمة المضادة وهي الحب والصفاء والصداقة .. التي التم فيها الآن.

قال : وانتم .. أين انتم الآن ؟

قلت : نحن الآن في مكان ، كان يوما" ما حلما" تحقق على ارض الواقع .. كلية الفنون الجميلة .. الشباب المسرحي الذي كان يعمل في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات وكنت متابع أعمالهم .. تكتب عنهم نقدا" مسرحيا" أو دراسة أو تحضر تمارينهم المسرحية .. وهم الآن أساتذة الفن والأدب .. الكل جاءوا ليحتفلوا الكل جالسين يسمعون ويستمعون لكلمات بحق رجل غادر بصمت دون وداع عن هذا المكان .

قال : وأنا أشكركم .. والله ثمان وستون عاما" كأنها لمح البصر لو أحصيت ما كتبت من أعمال مسرحية ودراسات نقدية وبحوث ومشاريع لم تنجز لحد الآن لوجدتها أكثر من عمري مرتين .

قلت : ماذا يفرحك ؟

قال : يفرحني إن إخواني وأولادي لم ينسوني .. لم ينسوا رجلا" ضحى من اجلهم ، قضى حياته بين الأوراق والمسودات والكتب ليعطيهم ما ملكت ذاكرته ، شكرا" لهم فقد اصدقوا وكانوا أوفياء.

قلت : ماذا يحزنك ؟

قال : لي صديق ورفيق درب هاجر مدينتي ربع قرن ، عاد توا" ، عاد ليكمل مسيرة الفن في مدينته ، عزيز علي لم اشبع من مجالسته والاستماع له ، لكي أتعلم منه ما تعلم .

قلت : وبعد ؟

قال : أنني أكثر حزنا" منكم ، فانتم جميعا" شخصا" واحدا" ألا إنني فقدت الآلاف ممن أحب .

قلت : أريد أن أسالك عن كتاباتك .. وكيف تكتب ؟

قال : يستعصي علي الوحي .. ويصعب حضوره عندما يكون الموضوع رديئا" جافا" والجو غير مناسب ، أما إذا كان الموضوع جيدا" صالحا" والجو منعش فان الوحي يتفضل بكل أدب واحترام ويستقر في مكانه المعد . ويبدأ الإنتاج الجيد الخصب ، فالوحي يضع حمله لا في العش الصاخب المبعثر .. بل في العش الهادئ المنظم .

قلت : ماذا عن الدنيا ؟

قال : الدنيا لي ولغيري .. ولا يتوهم احد إنها مقطوعة لشخص ما فهي لا تدوم لأحد أبدا" ، فلا تضايق الآخرين إذا ما أقبلت عليك أو أدبرت منك . عش بها على أحسن ما يجب أن تعيش ودع غيرك يعيش فيها وعلمه السمو إن افتقر إلى ذلك .

قلت : وعن البيت ماذا تقول ؟

قال : البيت لا يكون كاملا" بغير مكتبة والأسرة لا تكون مثقفة ما لم يقض أفرادها كبارا" وصغارا" جانبا" من أوقاتهم في القراءة .

قلت : نصيحة ؟

قال: يجب أن تضع على لسانك سؤالا" قويا" شامخا" وان تضع على طرفه كلمة حق دائما" معززة بثقة قوية شامخة.

قلت : والفقراء في أعمالك المسرحية ؟

قال : تصعد صرخة الضعيف والمظلوم إلى السماء وتنزل على القوي الظالم أقوى ما تنزل الصاعقة .

أخيرا" أسألك ماذا استنتجت بعد رحيلك ؟

قال : الحياة شمس تشرق لتغيب وتغيب لتشرق والجميع يفهم ويدرك إن بعد الحياة فناء وبعد الفناء حياة إلى الأبد . وكثيرون من يعتقدوا إن هذا الفناء مشكلة خوف.. وتعقيد .. . والحقيقة ليس الفناء خوف ولا تعقيد وليس بمشكلة ، فبعد الفناء لا يشعر الإنسان بالخوف والقلق .

والحقيقة مرة ثانية .. إن الحياة هي المشكلة والتعقيد والخوف ، والفناء حل لها .

أخيرا" ودعته على أمل أن اهيء ما في مكتبته من مذكرات لأقوم بنشرها قريبا" إن شاء الله ، واهيء مخطوطاته وكتاباته من أعمال مسرحية للكبار والأطفال .. بحوث .. دراسات .. لنشرها على شكل سلسلة منشورات مهداة إلى أبناء مدينته بخدمة الباحثين من طلاب العلم.

الفنان جبار صبري العطية .. تقانات من عالمه المسرحي

حميد عبد المجيد مال الله
ناقد مسرحي

لو اتخذت موقعاً حلولياً في سريرة فنان من البصرة ، سأتساءل كيف الوصول إلى العراقية خارج .. خارج مدينتي ؟ كيف أثير انتباه العاصمة ؟

تولى الرعيل الأول من رواد (العرض النقدي المسرحي) في البصرة ، التعريف بفناتي المدينة ونشاطهم صحفياً برسائلهم الواعية إلى صحف ومجلات بغداد ، أولئك الأساتذة هم : ـــ (قاسم حول وياسين النصير وبنيان صالح وعبد الصاحب محمد إبراهيم وعصام سالم) في ستينيات القرن الماضي . إلا إن ذلك لم يصل طموح ((فنانا)) الذي صمم على اقتحام المنصات والمجلات والصحف ودور النشر والتلفاز بمشاريع مهيأة وبالمقترحات ، وفي حقل المسرح بشطريه مسرح الكبار ومسرح الطفل .

في المسار الأول اختط اللون الملهاسي غالباً والتراجيدي بدرجة اقل ، وتضاءلت الكوميديا الخالصة في نصوصه إلا إنها ظهرت في نشاطه الإخراجي ، عني بالحدث الراهني بتشكيل شخصية عراقية يمتزج فيها الشعبي بالوعي ، وفي حالات الآني بالموروث .

في مسرحية (طوفان) ابتنى العلاقة بين كلكامش وانكيدو على صراع ندي مادته طغيان الأول وفرادنيته ، وتحرك الثاني لعقلنته وترشيد مساره بعيداً عن موضوعة البحث عن الخلود ومجابهة هيمنة خطاب الموت . المسرحية عرضت عام 1974 إخراج (كاتب السطور) إنتاج جماعة كتابات مسرحية وفي (رجل من طين) مثقف محاصر من قوى اجتماعية مهيمنة ، في تركيبته قبس من حالة الرؤيا كما وردت في شخصية النبي يوسف (ع) المسرحية عرضت في مهرجان المسرح العراقي الرابع 1997 ، تأليف وإخراج الراحل (العطية) . وفي (رجل من ماء) بحار عاجز عن مواصلة مهنته تتلبسه حالة (الزيران) وملاح من شخصية عالم البحار (ابن ماجد) في صراعه مع فاسكودي غاما ، يتحرك النص في عالمين الأول معاصر والآخر خيالي يستدعيه لا وعي الشخصية الملتبسة . وفي (السندباد البحري) مسرحية موجهة للأطفال ، إعادة كتابة لجانب من إحدى الرحلات السندبادية وما فيها من خيال وإثارة وسحر ومغامرة يصراع مخفف في مشاهد تتناوب مابين عالم أعماق البحار وآخر على سطح السفين ، سفين في (حب ومطر) إخراج د. حبيب ظاهر (فازت بجائزة أفضل نص في مهرجان للمسرح العراقي منتصف التسعينيات) ، مسرحية من شخصيتين : ـ عاشق وفتاته ثم يقترنان ، يخوضان صراعاً ذهنياً ضد شخصية متخيلة مستقاة من الميثولوجيا والأديان تسعى للإيقاع بينهما ، تجمع مابين الحراك الداخلي الذاتي والخارجي ، الجانب الأخير يؤشر بخفوت عاملاً موضوعياً مقنعاً (بماسك) الشيطان . وضمن أجواء كابوسية متخيلة تستوحي مسرحية (كوابيس) علاقة ملتبسة) تجري حوادثها في لا وعي شخصيتي تاجر بخيل كما شايلوك اليهودي وبائع أطعمة فقير مثار شكوك التاجر (عرضت المسرحية في بغداد بإخراج الفنان الراحل ـ طالب جبار ـ) . في نصوصه لمسرح (الطفل) استلهام العالمين الاول بشري والآخر يتمثل فيه عالم الحيوان والنبات والعالم الشيني ، ضمن مجتمعات شبه مثالية عجائبية كما (مملكة النحل) 1990 إخراج (منتهى محمد رحيم) إنتاج الفرقة القومية – بغداد ، و (عسل النحل) من إخراج (الراحل) إنتاج فرقة البصرة – دائرة السينما والمسرح 1989 ، و (مقالب ثعلوب) وانفردت (ذنبوب في المرآة) إخراج (وعد سالم) بتقنية المسرح الضمني أو (المسرح داخل المسرح) بأسلوب سايكو درامي لحل إشكالية ممثل فتي يتطير من تمثيل دور ذئب ماكر .

وفي مزج بين الخيال والحياة الدنيوية البهيجة يدور عالم (بابا نؤئيل والأطفال) مؤسساً على شخصية خلقها الخيال الشعبي واختلطت بمراسيم احتفالية دينية اقترنت بميلاد السيد المسيح (ع) المسرحية من إخراج (د. طارق العذاري) . ابتنى الفقيد الراحل (جبار صبري العطية) صرحاً مسرحياً غنياً بمباهجه وثرائه الفني والجمالي دام نصف قرن .

** العرض المسرحي النقدي Dramatic Criticism Reviewer يعنى بتناول المسرحيات المقدمة حديثاً والمنشورة بعرض أهم ما جاء فيها والتعريف بمؤلفها ، وإبداء الرأي فيها ، وتنشر هذه المعلومات في الدوريات الجادة .

جبار صبري العطية.. وتنوع حقول الإبداع

د. عبد الكريم عبود عودة

تجربة الكتابة لدى المعلم الراحل (جبار صبري العطية) لم تقف عند حدود بل هي متجددة دائماً يشتغل في حقل التأليف المسرحي ويتحرك في فضاءات هذا الحقل ليجرب اتجاهات عديدة في الصياغة الدرامية واللغوية ليؤسس نص أدبي يميزه . أفكاره لم تنتهي بل تبدأ وتتطور لتأخذ لها أفق رحب يسطرها بقلمه . وأسلوبه المكثف .. أما حقل البحث والنقد فقد شغل هذا المبدع كثيراً تحول المسرح عنده حياة وصارت الحياة مسرح من هذه الثنائية الجدلية انبثقت دراسات (العطية) المسرحية ليكتب في مسرح الطفل والمسرح المدرسي ، ويؤسس وجهات نظر خاصة فيها باعتباره معلم .. اخذ من المسرح وظيفته التوجيهية وحولها الى فعل للاتصال . إن منهج الدراسة الوصفية التي تتمثل بها بحوث (العطية) المسرحية هو منهج يأخذ مرجعياته من رصد الوقائع بموضوعية وإعطاء أحكام ونتائج نابعة من هذا الواقع وقادرة على تغييره .. وبهذا فان الهدف الاجتماعي من المسرح لم يغب عن منظومة تفكير (العطية) وهو يبحث عن

جدلية المسرح الحياة . ليخرج بنا إلى استنتاجات قائمة على خزين من التجربة المعرفية والتعليمية المأخوذة من خبرته في التعليم ليعكسها ككيان ووجود على مجمل هذه النتائج.

أما في حقل النقد ، فان تصورات (العطية) النقدية عن ما يشاهده من عروض أو يقرأه من نتاجات مسرحية أو ما ينظر إليه باتجاه النقد ، فهو حصيلة من متابعاته ومواضبته الدءوبة لمسرح تاريخ وأدب ونقد . ولهذا فكتاباته النقدية ومتابعاته لامست العمق في التشخيص فـ (العطية) ينطلق في محاولاته النقدية من قراءات موضوعية اجتماعية يستفز فيها العناصر الداخلية في المنجز الإبداعي ومدى علاقتها بالواقع الاجتماعي ، هل تسعى هذه العناصر في صياغتها لكشف المهينات الأخلاقية والأدبية فتضيف باشتغالها الفني معناً جديداً للحياة أم العكس ؟ دائرة النقد تتحرك في هذا المحيط لتلتقط الإشارات الإبداعية في المنجز الإبداعي ويضيف أسلوب (العطية) الواضح والمتسلسل في حدود المنطق المعقول إيضاحات عن هذه الدائرة باحثاً عن قدرات هذه الإشارات في نقد المنظومة الاجتماعية الخاصة بشخوص الخطاب الذي يجري نقده . وفي حقل آخر اشتغل (العطية) في الإخراج المسرحي ، انه صورة للمخرج القائد وقيادة تبدأ منذ المراحل الأولى لإعداد العرض بعد اختياره . ويفضل (العطية) التعامل مع النصوص المسرحية التي يكتبها إحساسا منه بان تجسيد النص على الخشبة سوف يحافظ على مضمونه وأفكاره المطروحة . قيادة المخرج للنص تؤكد مسؤوليته عن جميع العناصر والإشراف عليها إشرافا مباشراً فالممثل لدى (العطية) عنصر جوهري في عملية تجسيد العرض المسرحي باعتباره الكائن الحي المتحرك .. لذا يفرض (العطية) قواعد وقوانين في الحركة والصوت والأداء على ممثليه بهدف التعبير عن الشخوص التي رسمها (العطية) وأعطاها أبعادا متناسقة ضمن الوحدة الدرامية والفنية للعرض . على الممثل إذن أن يتقيد بتوجيهات المخرج القائد كي يحقق هذا الهدف . وهكذا تخضع جميع عناصر العرض البصرية والسمعية إلى هذا التوجيه الفكري والتقني . إننا نرى في عروض (العطية) إن هناك مخرج قد ساهم في صياغة هذه العناصر وفق نظرة قيادية في الجانب الفكري والتقني ليؤسس عرض مسرحي قائم على مبدأ القيادة في التوجيه .

تبقى تجربة (العطية) المسرحية تجربة متكاملة كونها تحركت كما أوضحنا على حقول عديدة في التخصص المسرحي ، ألا إن أخلاقيات (العطية) المسرحية في الالتزام والاحترام والموقف الفكري تبقى معالم شاخصة في هذه التجربة يتعلم منها الأجيال لصياغة مستقبل مسرحي إبداعي للوطن قائم على الركائز الأخلاقية التي دعا لها (ستانسلافسكي) وحولها في مدينتنا المعلم (العطية) إلى حقيقة نبصر بها وحشة الدنيا فننهض لإعادة صياغة واقعنا المسرحي من جديد بعيون عراقية تتجاوز الماضي القاسي وتنظر إلى بوابة الأمل ..!!

جبار صبري العطية
الواقف بين شخصياته الدرامية

د. طارق العذاري

لا أريد القول إن مبدعنا الراحل (العطية) خاض في أكثر من أفق للكتابة الأدبية ، فهذا حقل انتهى منه هو نفسه ، ومن يقرأ ميراثه الكتابي يجد المسرح نصاً ودراسة وبحثاً أدبيا . انه في كل ما كتب تجده واقفاً خلف كل عبارات النقد والإصلاح ، ناشدا التغيير الاجتماعي الايجابي ومدافعاً عن حقوق الطفل والمرأة والإنسان الضعيف . إن رؤيته الإصلاحية الإنسانية جعلته اقرب إلى الحكيم والمعلم في طروحاته الفكرية فهو يدخل في آهاب شخصياته التي يرسمها حتى يصبح (الشخص الضمني) للشخصية المرسومة لأنه يريد أن يفصح عما يجول بخاطره . كان محباً لمجتمعه ولفنه ، لذلك امتزجت عنده الرؤية الاجتماعية بالجمالية وان بدا مضحياً – أحيانا – في جوانب أبداعية لأنه كان يسعى للوصول إلى الناس ، كل الناس . يمكن اعتباره من كتاب المسرح الاجتماعي العراقي ولكن سمو أخلاقه وتواضعه جعلاه مكتفيا بالصورة التي أرادها لنفسه وآمن بها الآخرون عن حب وجدارة لان هاجس حبه لشعبه ووطنه كان مصدراً لكتاباته فهو يرحل إلى الماضي ليكتشفه ويتحقق منه ويحاكمه ويأتي به إلينا ناقداً متبصراً ليعيد الثقة إلينا بعالمنا ورحلتنا لأنه يصطف معنا في هذه القبة المأساوية ، وحتى نقده وثورته الهادئة على واقعنا ، لم يجرح احد أو يسئ أبدا فقد كان رحوماً وعطوفاً على (ذئب ليلى) لأنه لم ييأس من إمكانية تحييد الشر وتغييره وجعله عنصرا ايجابيا يثري حياتنا . صار الراوي المصلح بطلا لكل مسرحياته يتمظهر في شخصيته رجل ، أو عامل ، أو امراة ، أو طفل ... الخ . ارتدى الكل حتى أصبح معبراً عن شعب بأسره .اختفى وراء كل شخوصه الدرامية واستنطقها بما يريد وألبسها كل الأزياء والأقنعة ولكن ظل صوته ناصحاً ومرشداً ومعلماً . رأى في الطفل بذرة المستقبل يتحسسه بحياته ومشاعره وأخيلته البريئة ودعا إلى توفير الفرحة والحياة الخالية من الجوع والألم يدخل في ذات الطفل ويفتح عيونه ليرى العالم من حوله ورديا ، نديا متفائلاً .

والأم هي العراق – الأرض – التي يتوسدها عطفاً ورزقاً ورحمة لا يحدد شخصياته الدرامية بأبعادها المعروفة وإنما يجعل منها فضاءاً مفتوحاً للقراءة والتأويل فهو يكتب شخصياته ويتركها تنمو وتثمر في مخيلة المتفرج . وهذه الحالة جعلته متسامحا مع كل المخرجين الذين اخرجوا مسرحياته فهو يحترم قراءة كل مبدع لإعماله ويفرح حين تعرض له مسرحية ويظل يتابع ردود أفعال الناس عنها .

كان أبا للحركة المسرحية في البصرة ، يلبي كل الدعوات عن طيب خاطر لحضور عرض مسرحي ، ندوة ، مناقشة ، حلقة نقاشية ، كان صديقاً لفرقة البصرة للتمثيل ، ومعهد الفنون الجميلة ، وكلية الفنون الجميلة. يسال عن كل شيء له علاقة بالمسرح ، سؤال المزارع الذي يتأمل شتلاته انه في رحلته كان ينشد المحبة والسلام ..!!